

إسرائيل تخشى السيناريو الأسوأ اجتياح حدودها!

بقلم: صالح محمد النعامي



لا خلاف بين
المراقبين في
إسرائيل على
أن حركة
حماس هي التي
خرجت

«منتصرة» في الأحداث الأخيرة.

الدكتور يورام كيدار الباحث في مجال العلاقات الفلسطينية الإسرائيلية في جامعة «بار إيلان» الإسرائيلية يرى أن حركة حماس خرجت كقوة أملت خيارها في النهاية، وليس سلطة عباس ولا حكومة أولمرت.

«ما جرى دليل على انهيار استراتيجية الحصار التي راهنت حكومة إسرائيل على أن تساهم في إسقاط حكومة حركة حماس، وهذا يعني أن حكومة حماس ستظل إلى جوارنا لمدة طويلة جداً»، كما قال في مقابلة مع القناة الأولى في التلفزيون الإسرائيلي.

لكن بعض كبار المسؤولين والجنرالات في إسرائيل وجدوا في ما حدث فرصة لتسويق حل إسرائيلي قديم جديد، يقوم على تخلص إسرائيل من المسؤولية عن توفير المستلزمات الحياتية للفلسطينيين في قطاع غزة، عبر إلزام مصر بتوفير هذه المستلزمات.



مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات

الجنرال جيورا أيلاند المدير السابق لمجلس الأمن الوطني الإسرائيلي يرى أن على إسرائيل وقف إمداد غزة بالوقود والمتطلبات الاقتصادية، بما في ذلك إمدادات الكهرباء، وإخراج غزة من اتفاقية الإغلاق الجمركي التي بموجبها تلتزم إسرائيل بالسماح لتجار غزة بالاستيراد والتصدير عبر موانئها.

لكنّ قدرة إسرائيل على التخلي عن مسؤولياتها تجاه غزة محدودة جداً، حيث إن معظم القانونيين الإسرائيليين الذين أجرت معهم وسائل الإعلام الإسرائيلية خلال الأيام الماضية مقابلات حول هامش المناورة المتاح أمام إسرائيل من ناحية قانونية، شددوا على أن إسرائيل ملزمة وفق القانون الدولي بمواصلة تزويد القطاع بمتطلبات الحياة لسكانه بوصفها دولة احتلال. وهناك من أشار إلى أن ارتباط قطاع غزة بإسرائيل تحدّده حركات المقاومة الفلسطينية. فقد قال الجنرال يوم طوف ساميا قائد المنطقة الجنوبية السابق في جيش الاحتلال: إن مواصلة الجيش الإسرائيلي لعملياته في قطاع غزة، وما ينتج عنها ستشكل دليلاً آخر بالنسبة للمجتمع الدولي على مسؤولية إسرائيل عن قطاع غزة.

سور من رفح إلى إيلات

ومن طرق المعالجة الأخرى للوضع الجديد التي يراها بعض كبار المسؤولين الإسرائيليين هو إقامة جدار إسمنتي على طول الحدود بين مصر من جهة، وبين كل من قطاع



مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات

غزة وإسرائيل من جهة أخرى، من أجل تقليص قدرة الفلسطينيين على تجاوز الحدود وللإتقال على قدرتهم على حفر الأنفاق، التي تدّعي إسرائيل أنها تستخدم في نقل السلاح والوسائل القتالية من مصر إلى قطاع غزة، وهو ما قرره مجلس الوزراء في اجتماعه يوم الأربعاء ٢٠٠٨/٦.

أحد هؤلاء المسؤولين هو نائب وزير الدفاع متان فلناني يدّعي أن مصر ستكون معنية بإقامة هذا الجدار، لكنه في نفس الوقت يشير إلى أن إقامة هذا الجدار مرتبطة بتدمير مئات المنازل على جانبي الشريط الحدودي في كل من رفح المصرية ورفح الفلسطينية.

رون بن يشاي المعلق العسكري لموقع «YNET» -أهم موقع إخباري إسرائيلي- يرى أن إسرائيل مطالبة بتكثيف عملها الاستخباري في عمق سيناء حتى لا تفاجأ بأمور لم تحسب لها حساباً.

صحيفة «هاآرتس» حذرت من مغبة أن تقدم إسرائيل على أي خطوة تستفز مصر، معتبرة أن مواصلة حال السلام مع مصر هو أهمّ دُخر استراتيجي لإسرائيل، ويجب عدم المساس به بأي صورة. وشدّدت الصحيفة على أن أمن مئات الآلاف من الإسرائيليين يتوقف على «حسن النوايا المصرية». ودعت الصحيفة إلى أن تسمح إسرائيل لمصر بمدّ الفلسطينيين في القطاع بما يحتاجون إليه من مواد



مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات

استهلاكية، معتبرة أنّ ما حدث في غزة ليس مجرد اختراق للجدران «هذا تغيّر استراتيجي عرّى السياسة الإسرائيلية».

وهناك من المسؤولين الإسرائيليين من بات يطالب بشكل علني بالتفاوض مع حركة حماس؛ شمعون شيفر الكاتب والمعلق السياسي البارز في صحيفة «يديعوت أحرنوت»، أوسع الصحف الإسرائيلية انتشاراً، نشر مقالاً في عددها الصادر الأحد الماضي أكد فيه أنه في الوقت الذي تجبر إسرائيل أبو مازن على عدم التحدّث مع حركة حماس، فإن الكثير من المسؤولين في إسرائيل باتوا يطالبون بفحص إمكانية إجراء حوار مع الحركة بغرض التوصل إلى التفاهم حول إطلاق الصواريخ والحصار والجندي المختطف جلعاد شاليت.

السيناريو الأسوأ

لكن هناك من المحللين الإسرائيليين من لا يرى في ما جرى على الحدود بين القطاع ومصر نهاية المطاف، ويتوقع -خصوصاً بعد إحكام مصر إغلاق حدودها مع غزة مجدداً- أن يتوجه الجمهور الفلسطيني إلى الحدود مع إسرائيل.

البروفيسور زئيف تسحور رئيس الكلية الأكاديمية في بلدة «سدирوت» التي تتعرض للقصف من قبل حركات المقاومة الفلسطينية، يتوقع أن يقوم الفلسطينيون باجتياح



مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات

الحدود مع إسرائيل إذا لم يتمّ السماح بوصول المواد الغذائية للقطاع. ويضيف في مقال نشرته صحيفة «يديعوت أحرنوت»: «كلّ مخزون السلاح لدى إسرائيل سيكون عديم القيمة أمام الكتلة الإنسانية التي تتحرك بتصميم من ينعدم لديه البديل، آلاف النساء الحوامل، أمهاتهن العجائز وخلفهن مئات آلاف الأطفال والرجال».. المفكر والكاتب الإسرائيلي يوفال البيشان كتب في صحيفة «معاريف» في عددها الصادر الأحد (٢٠٠٨/٢/٢) مقالاً اعتبر فيه أن ما قام به الفلسطينيون في غزة هو أمر طبيعي. وقال: «يعلّمنا اختراق عشرات الفلسطينيين الحدود إلى رفح حقيقة إنسانية بسيطة؛ هي أنه لن يستطيع أي سور مهما علا أن يمنع إنساناً جائعاً لا يوجد لديه ما يخسره». وأضاف: «وفي خضم التحليلات العسكرية، والتنبؤ السياسي والخطط المستقبلية، يبدو أنه لا أحد نظر حقاً في وجوه عشرات آلاف الفلسطينيين الذين اجتازوا الحدود بانقضاض وجالوا في شوارع رفح المصرية، حتى لو كان الحديث عن عمل مخطّط له ومنظّم على يد حماس، وحتى لو كان في جزء منه عرضاً مخرجاً إخراجاً جيداً، فليس بالإمكان تزييف النور الذي أشرق على وجوه عشرات أولئك الآلاف بعد أن اجتازوا الحدود، لا يمكن ببساطة».. على حد تعبيره. ولفت البيشان الأنظار إلى أن «من تأمل حقاً، وسمع أصوات أولئك الناس البسطاء، رأى حقيقة إنسانية بسيطة مفادها أنه لن



مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات

يوجد أبداً سور يستطيع أن يوقف إنساناً يقرر بطنه ولا
يوجد لديه شيء يخسره. حتى لو كان ذلك جداراً أشدَّ
إحكاماً، وإلى جانبه كتائب جنود ذوي خبرة، فلن يساعد
الأمر.. وعندما يفقد الإنسان كل أمل ليحسن حياته يتحرك
في الطريق إلى المكان الذي يلوح أنه الحل الوحيد لضيقه.
فالضرورة قوة باعثة عظيمة، ولا يمكن نسيان هذا
الدرس».

إسرائيل فقدت السيطرة

وفي مقال آخر أشارت صحيفة معاريف إلى أن انهيار
الجدار الحدودي بين مصر وغزة «هو قبل كل شيء قصة
إنسانية بسيطة تدلّ على حقيقة ثابتة هي أنه لن ينمو أي
مجتمع إذا نشأت حوله جزر من الفقر والضيق، ولن
يخيفها أي جدار».

لكن تسفي بارثيل معلق الشؤون العربية في صحيفة
«هاآرتس» حذر المسؤولين والجنرالات من مغبة السقوط
في وهم الاعتقاد أنه بإمكان تحميل مصر المسؤولية عن
قطاع غزة، وينصح قادة إسرائيل بعدم تفسير الخطوات
المصرية الإنسانية بصورة خاطئة. وفي مقال نشره في
صحيفة «هاآرتس» نوّه بارثيل إلى أن الحكومة المصرية
أدركت أن تحفظها على حكم حركة حماس في غزة لا
يبرّر «الانجرار وراء السياسة الإسرائيلية غير الإنسانية»،
منوهاً إلى أن الجمهور المصري يطالب الرئيس حسني



مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات

مبارك بالتحرك لإنقاذ الفلسطينيين «مهما كانت الصورة التي تتظر فيها لهم إسرائيل».

ويعتبر بارئيل أن ما جرى دليل على فشل سياسة إسرائيل، ويقول: «مصر ليست مذنبه، وتهجم المسؤولين لدينا عليها لا يمكنه أن يطمس حقيقة أن حكومة إسرائيل بسياستها الفاشلة فقدت السيطرة على غزة.. من اعتقد أن من الممكن توجيه الضربات لشعب بأكمله حتى الشمال ومنع دخول الوقود والغذاء وإغلاق المعابر أمام التجارة والعلاج الطبي ومحاولة دفع الجمهور الفلسطيني للقيام بعصيان مدني ضد قيادة حماس من أجل إيقاف إطلاق صواريخ القسام.. هو الذي فقد السيطرة على المعبر، وهو أيضاً المسؤول عن إفساح المجال أمام غزة حتى تتزود بكل ما تريده بما في ذلك المواد المطلوبة لتصنيع «القسام» والمال المطلوب من أجل تغطية هذه الأعمال».

ويشير بارئيل إلى أن إسرائيل ارتكبت خطأ كارثياً عندما اعتقدت أنه بالإمكان تجاهل حكومة حماس، ويقول: «من اعتقد أن يستطيع تجاهل الحكومة الفلسطينية المنتخبة بصورة قانونية ومقاطعتها ومعاقبة كل سكان المناطق على ذلك، وجد نفسه قبالة حماس تبسط سيطرتها على جزء من الأرض، الأمر الذي لا يؤدي فقط إلى زعزعة أمن سكان المستوطنات التي تقع في محيط قطاع غزة، بل يمس بمكانة دولة إسرائيل الاعتبارية باعتبارها مسؤولة